# العلاقات السياسية العراقية الخليجية في الألفية الثالثة قبل الميلاد

المدرس الدكتور
قصي منصور الثركي
جامعة دهوك / كلية التربية والعلوم

**الملخص**

أن آثار الحضارة السومرية وبعض النظم الإدارية خاصة طبيعة الحياة السياسية ، كانت متغلغلة بين ممالك وإمارات منطقة الخليج، ومنها نظام الإمارات وحكومات المدن، قبل الألف الثالث قبل الميلاد وخلاله والحقب اللاحقة،حيث يمثل هذه الحكومات شيوخ كل مدينة وحكاماؤها وأمراؤها في الخليج العربي، وهو نظام سومري يعكس واقعا سياسيا يرتبط بأوجه الحياة الاقتصادية والاجتماعية والدينية، وشمل مدة تاريخية هامة، أطلق عليها المؤرخون "عصر دويلات المدن أو عصر فجر السلالات".

## Abstract

That the antiguities of the Sumerian civilization and some administrative systems especially the nature of political life was overlapped among the kingdoms and emirates of Gulf region, including the system of the emirates cities governments, before, during and the third millennium BC and the subsequent periods, representing these governments elders and rulers and princes of every city in the Arabian Gulf, a Sumerian system that reflects the political reality associated objects of economic and social life, religious, and included an important historical period, historians called " city states&early dynastic period" .

**تقديم:**

إن عبارة العلاقات السياسية التي نستعملها في دراستنا هذه، ذات مغزى ينّم عن وجود كيانات سياسية مستقلة لها أراضيها وحدودها الخاصة ولها علاقاتها مع غيرها من الممالك أو الدول خارج تلك الحدود[1]. ولا يجب إن يندهش القارئ الكريم من عمق العلاقات العراقية الخليجية، فعلى الرغم من مرور عقد أو يزيد على بداية الألفية الثالثة للميلاد فإن أصول تلك العلاقات تعود إلى سنوات الألفية الثالثة قبل الميلاد، أي ما يربو على ستة آلاف عام، ولا عجب في ذلك فالجغرافية واحدة والتاريخ حمّال أوجه أو إنه يعيد نفسه في أغلب الأحيان.

فالعلاقات السياسية الخارجية . الدبلوماسية خاصة . تدل على درجة متقدمة من النضج الحضاري والسياسي، ويفترض إن مثل هذه العلاقات بين العراق والخليج قد بدأت منذ أن° نشأت الدول أو الممالك المستقلة في عصر فجر السلالات (٢٩٠٠ ق.م)، أي مع بداية الألف الثالث قبل الميلاد، إذ من المستبعد لأي دولة أو مملكة أو مدينة مستقلة مهما كانت صغيرة من حيث مساحة أراضيها وقلة عدد سكانها، أن° تعيش بمعزل عن غيرها من الدول أو المدن الاخرى . لا سيما المجاورة لها قديما وحديثا . بل من المسّلم به أن° تنشأ بينهما علاقات سياسية واقتصادية، خصوصا مع جار للخليج لم تكن حضارته محلية مقتصرة على بلاد "سومر" و"أكد" بل امتدت إلى بلدان وأقاليم قريبة وبعيدة من خلال العلاقات السياسية والتجارية والعسكرية التي قامت بينه وبين تلك البلدان والأقاليم الاخرى المجاورة له.

إن مصادر معلوماتنا عن العلاقات السياسية الخارجية بين العراق والخليج العربي تقتصر بالدرجة الرئيسة على المدونات المسماريّة، لذا كانت تلك المعلومات محددة بتاريخ أقدم تلك المدونات المسماريّة التي لا يمكن أن°تتجاوز الألف الثالث قبل الميلاد، لأنها المدة التي أصبحت فيها الكتابة شائعة بشكل واسع نسبيا، وإلى جانب المدونات المسماريّة هناك بعض المنحوتات والرسومات على الأواني الحجرية والفخارية. ومما يقال عن دويلات المدن المستقلة التي عاصر بعضها الآخر كلا أو جزء وتتابعت على حكم منطقة العراق وقامت بينها صراعات سياسية عنيفة انتهت البعض منها بعقد المعاهدات أو الاتفاقيات الثنائية في حين انتهى بعضهم

بنشوب الحروب المدمرة التي كانت نتائجها غالبا سيطرة إحدى الدويلات على الأخرى[٢]. ومن المرجّح أن الوضع نفسه كان قائما في الإمارات والممالك المنتشرة على طول ساحل الخليج حيث لم تكن حدود سياسية أو طبيعية قاهرة بين مناطق هذا الجزء من العالم القديم.

وبشكل عام يمكننا القول إنّ أغلب المدن العراقية الجنوبية الهامة، كانت على صلة مباشرة أو غير مباشرة بمناطق الخليج العربي.[٣] وقد تأكد لنا ذلك من سجلات الأعمال التجارية والرحلات المسافرة إلى الخليج العربي، ولغرض توضيح طبيعة العلاقات السياسية بين العراق والخليج نرى من المفيد أن نتعرف على طبيعة النظام السياسي القائم في منطقة الخليج العربي خلال الألفية الثالثة قبل الميلاد، ثم نعرّج على طبيعة تلك العلاقات السياسية خلال المدة المذكورة.

## أولا- نظام الممالك والإمارات في الخليج العربي:

يتبيّن من خلال دراسة المصادر المسماريّة ، أنّ آثار الحضارة السومرية وبعض النظم الإدارية . خاصة طبيعة الحياة السياسية ،. كانت متغلغلة بين ممالك منطقة الخليج واماراتها، ومنها نظام الإمارات وحكومات المدن، وذلك قبل وخلال الألف الثالث قبل الميلاد والحقب اللاحقة[٤]. حيث يمثّل هذه الحكومات الشيوخ والحكام والأمراء لكل مدينة في الخليج العربي، وهو نظام سومري يعكس واقعا سياسيا يرتبط بأوجه الحياة الاقتصادية والاجتماعية والدينية، أطلق عليه المؤرخون "عصر دويلات المدن السومرية أو عصر فجر السلالات" ( Early Dynasty Period) .[٥] لذلك فمن المرجّح أن ساحل الخليج العربي كان يماثل تلك الدويلات السومرية التي يستلزم نظامها إن يكون لكل مدينة حاكم أو أمير وشيخ، وهي الصورة نفسها التي عليها أغلب مدن الخليج العربي وإماراتها اليوم، كما إنه نظام أخذ عنه نظام البلديات بشكل أكثر تطورا حتى عمّ اليوم جميع أقطار العالم [٦] .

وليس هناك في المصادر المادية والكتابية ما يشير إلى أنّ إمارات منطقة الخليج قديما قد شهدت صراعات وحروبا بين مدنها ،بل هناك نوع من الرخاء المادي الذي لم تبلغه دوامات ونزاعات دول المدن في جنوب العراق[٧] . فبدلا من البحث عن السلطة السياسية وفرضها على

باقي الامارات والمدن، صرفت هذه الإمارات اهتمامها نحو ركوب البحر للتجارة وصيد السمك واستخراج اللؤلؤ واستغلال بعض موارد المياه للزراعة البسيطة. ويبدوأنّ الطبيعة هي التي فرضت على المنطقة هذا النوع من أنظمة الحكم على حد تعبير جواد علي الذي يذكر: "**إنها لم تمنحهم أمطارا وافرة تمكّنهم من استغلال أرضهم ولم تعطهم أنهارا كبيرة طويلة تساعدهم على نشوء العمران عليها وتكوين حكومات مطلقة كما في العراق ومصر**"[٨]. لذا فقد تركّز السكن في مواقع متناثرة على طول الساحل الغربي للخليج وفي شبه جزيرة عمان وساحلها الشرقي، مما أوجد صعوبة في قيام حكم مركزي في أيدي ملوك أقوياء، على غرار دول وامبراطوريات العراق القديم، لذا أصبح الحكم فيها حكم مدن، مما جعلهم عرضة للغزو، وفضّلوا دفع الاموال بدل الحرب والدمار الذي كان واضحا في عهد الدولة الأكدية[٩]. بيد أن الإشارات النصّية والمخلفات المادية التي أظهرتها التنقيبات تبيّن لنا على الأقل، أنّ هناك ممالك تميّزت عن باقي المدن في الخليج ذكرها ملوك العراق في كتاباتهم من خلال فرض السيطرة العسكرية عليها مرة أو بعلاقاتها السياسية القائمة على المصالح التجارية مرة أخرى وأهم هذه الممالك هي:

١- **مملكة دلمون:**- إن الواقع السياسي لجزيرة "البحرين" . دلمون . (DILMUN)، يعطينا صورة غير واضحة عن قيام مملكة فيها، على الاقل في بداية الألف الثالث قبل الميلاد ، بيد إنه سرعان ما تتوفر أدلة نصية عن وجود كيان سياسي في جزيرة البحرين له أوثق الصلات مع الأقسام الجنوبية من العراق، ويبدو أنّ نفوذ دلمون يتعاظم مع ضعف قوة حكم السلالات الحاكمة في جنوب العراق، ومثال ذلك ما عرفناه عن قيام كيان سياسي مستقل فيها بعد وفاة الملك"حمورابي" خلال حكم سلالة بابل الأولى عام ١٧٥٠ ق.م[١٠] . ولكن سرعان ما تفرض حكومات العراق سلطتها عليها من خلال ادّعاء حكّامها وتأكيدهم السيطرة على دلمون، ومثال ذلك ما ذكره الملك"شروكين الآشوري" (Šarrukin) (٧٢٢-٧٠٥ ق.م.) الذي صرّح بالقول: "**إن لدلمون ملكا أرسل الجزية إليه**" ، ويبدو إن ملك دلمون اتخذ هذه الخطوة للمهادنة السياسية أمام تزايد نفوذ الآشوريين وتمكنهم من السيطرة على الأقسام الجنوبية من العراق، ثم أصبحت دلمون

في عهد الملك الآشوري "سن.آخي.إيرب" (Senhacherib) (٧٠٤-٦٨١ ق.م.) خاضعة للحكم الآشوري، حيث يذكر الملك الآشوري "سن آخي أيرب" في إحدى كتاباته إنه بعد أن° تمكن من السيطرة على مدينة بابل وقام بتدميرها، وعزم على ضم دلمون إلى مملكته، فعمد إلى إرسال وفد إلى ملك مملكة دلمون يخبره بالخضوع لآشور أو الدمار والخراب ، فوافق ملك دلمون على الاعتراف بسيادة "سن آخي أيرب" عليه، وأرسل له هدية ثمينة [١١]. ويضيف الملك "سن.آخي.إيرب" في كتاباته أيضا أنّ غبار مدينة بابل قد وصل إلى دلمون فشاهده الدلمونيون فخافوا من جبروت الآشوريين، فحملوا الكنوز إليهم وأرسلوا صناعا من إقليمهم مع عربات وأدوات من النحاس وأوانٍ من صنع سكان بلادهم [١٢].

ولولا تعاظم قوة حكومات العراق التي تقضي على كل ما من شأنه أن° يجعل من دلمون قوة منافسة في المنطقة ، لأصبحت مملكة دلمون بحكم موقعها وأهميتها التجارية لا تقل شأنا عن ممالك جنوب العراق، حيث تعرضت للعديد من الغزوات ابتداء من عصر الملك "لوجال زاجيزي "(LugalZaggezi) (٢٤٠٠-٢٣٧١ ق.م.) ثم سرجون الأكدي، وخلفائه، إذ تشير المصادر المسماريّة إلى أنّ سرجون الأكدي قد حاصر بلاد أرض البحر ثلاث مرات:

Mati Tiamat Lu –U Al–Ma–U3–Su" **حاصرت ارض(بلاد) البحر ثلاث مرات**" [١٣].

وإذا كان سرجون الأكدي قد سار إلى بلاد أرض البحر ثلاث مرات، فلابُدَّ أن لها قوة كبيرة كان لزاما عليه إن يخضعها لسيطرته ، أي أنه اعتراف ضمني أن في أرض الخليج مملكة قوية ذات حكم وقوة عسكرية منيعة.

أما المدة التي تلت المرحلة الأكدية فقد ميّزت العلاقات السياسية بالطابع الودي في أغلب الأحيان، وعندما آلت أمور السلطة السياسية في جنوب العراق إلى حكم سلالة لجش وأور الثالثة خاصة في عهد "جوديا" حاكم لجش (٢١٤٤-٢١٢٤ ق.م.) أخذت طابعا تجاريا بحتا[١٤] . ليعود من جديد تنامي النفوذ العسكري في مطلع الألف الأول قبل الميلاد مع بداية حكم الآشوريين.

**٢- مملكة مجان:** تعددت الإشارات النصية المسماريّة عن المنطقة التي عرفت باسم "مجان أو مكّان" (Magan&makkan) وهي أرض لها ملكها وحاكمها الخاص، أي أن الاسم يمثل تنظيما سياسيا جعل ملوك أكد يتفاخرون بالانتصار عليها واحدا تلو الآخر، وهي المنطقة نفسها التي نالت تفضيل حُكّام سلالة لجش الثانية وأُور الثالثة بوصفها مصدراً لأغلب الواردات العراقية، ويمكن التحقق من ذلك عند أول هذه الإشارات التي ذكرها الملك "نرام سين"(Naram-Sin) (٢٢٩١-٢٢٥٥ ق.م.) إذ يدعو خصمه ملك مجان بأقدم لقب أو عنوان ملكي عرف عند السومريين وهو"إين" (EN). [١٥] أي السيد، حيث عرفت بلاد سومر وأكد بهذا الاسم في الكتابات الأولى، وفي نص آخر من عصر أور الثالثة يشار إلى حاكم مجان بلقب" لوجال"(Lu-Gal) الذي يعني باللغة السومرية الرجل العظيم [١٦]. وكان اسم هذا الحاكم "نادو بيلي" (Nadu-Beli) ودعي بأمير مجان "أينسي- مجان" (Ensi-Magan) [١٧]. والجدير بالذكر أنّ قراءة اسم سيد مجان أو أمير مجان، عرف في عصور لاحقة على إنه "ما – ني – ام" (MA-NI-UM ) و جاء استعماله في العصر البابلي الحديث تحت اسم" مانو- دانو" ( MANU DANU ) أي بمعنى" مانو القوي" (الجبار)، كما اقترح أن قراءة الاسم على النحو الآتي: " ما- ني دان"( MA-NI D[AN]) وذلك في النصوص الأصلية التي ذكرها "نرام سين" في كتاباته[١٨ ]. وأشير إليه بأنه حاكم المدينة والمقاطعات التابعة لها، وهو لقب سياسي سواء أكان الحاكم معتمدا" أم غير معتمد، حيث اتسمت علاقتها مع منطقة مجان بالسلم والتبادل التجاري. إنَّ ورود هذين الاسمين أو اللقبين في نصوص كل من الحكام الأكديين وحكام سلالة أور الثالثة، يؤكد وجود إدارة سياسية عالية الضبط في عُمان [١٩]، كما إن سعي نرام سين الحثيث ليكون له نفوذ قوي في بلاد مجان من خلال قيامه بالحملات العسكرية وجلبه لغنائم اسماها غنائم مجان، وذكره لملك هذه البلاد، واشتهارها – أي مجان- بالمعادن والأحجار، كل هذا يدل على وجود مملكة ذات شأن كبير لها ملكها واقتصادها القوي الذي دلت الأبحاث الحديثة إن مستوطنات المنطقة بما فيها الإمارات العربية وشبه جزيرة عُمان الحالية كان لها قاعدة زراعية، ولكي يتم حماية استثماراتهم هذه شعر المستوطنون بضرورة بناء التحصينات الدفاعية الممكنة لقراهم ، بحيث احتوت كل قرية أو مدينة صغيرة على أبراج مرتفعة بمثابة

حصن مغلق واسع يتفاوت ارتفاعا ومساحة بين مدينة وأُخرى[٢٠]. وتؤيد المعلومات الأثرية في مواقع التنقيبات العمرانية على إن هذه الأبراج كانت تُعدُ مبدئيا مخصصة لسكنى القائمين على الحكم مما يتوافق مع طبيعة المجتمع العُماني التقليدي[٢١]. ويمكن القول أيضا إن وظيفة هذه المباني المحصَّنة فضلا" عن مجالها الوقائي والدفاعي من المخاطر كافة ، إنها كانت مراكز يشغلها حكام الأقاليم قياسا على استعمال مثل هذه المباني المحصنة في الوقت الحاضر، التي تقع بالقرب من مواقع المباني القديمة[٢٢]. كما كشفت التنقيبات الأثرية في موقع "مايسار" (Mayasar) على برج محصن يبلغ طوله حوالي ٢٢م وسمك جدارها لخارجي ١.٦٠ م وهو يماثل نمط البناء الشائع في الألف الثالث قبل الميلاد لاسيما في منطقة شبه جزيرة عُمان، ويمكن أن° نجدها فردية أو بشكل مجموعات بالقرب من كل مستوطنة، وتعكس نظاما اجتماعيا معينا يمثل حاكما أو ملكا حكم في الألف الثالث قبل الميلاد على أرجح احتمال، حيث تم تحديد التاريخ من خلال الأواني الفخارية المكتشفة في الموقع نفسه ، والتي تعود بتاريخها إلى سنة (٣٠٠٠ ق.م) [٢٣] . ويمكن تبرير بناء هذه الحصون إلى أنها عبارة عن مقاطعات تابعة للمملكة الرئيسة "مجان" خصوصا، وإن مدة إنشائها وازدهارها تعود إلى مدة ام النار(٢٥٠٠-٢٠٠٠ ق.م) وتقع ضمن هذه المدة كل الحملات العسكرية التي شنها حكام العراق على مجان، أهمها حملات الملوك الاكديين -مما سنراه لاحقا- ومن بين اهم هذه المقاطعات مواقع "نزوى" (Nizwa ) في عمان، ومواقع أخرى في الامارات العربية المتحدة مثل موقع "هيلي" (Hilli ١) و"هلي ٨" (Hilli٨) وموقع "بديه" (Bidya) وموقع "تل ابرق" (TellAbraq) ، وقد اكتشفت حديثا قبور عديدة في هذه المواقع التي تعود إلى مدة أم النار (منتصف الألف الثالث قبل الميلاد وأواخره)، وفرت أدلة هامة حول شعب سلالة مجان ومعيشتهم واستيطانهم المرتبط بروابط اجتماعية من خلال إدخال كل الفئات العمرية من الطفل الرضيع إلى البالغين الكبار مع بعضهم في هذه القبور، ومن خلال التحليل الحديث للخاصية فوق الجينية على الأسنان في ثلاثة قبور نقبت من قبل البعثة الدنماركية في أم النار، تبين أنّ الأفراد المدفونين في قبر واحد مرتبطين جينيا، وربما يمثلون أعضاء لأسر متزاوجة، أي أن لهم ارتباطا في حياتهم المعيشية، توضح في استيطانهم المشترك وفي دفنهم مع بعض[٢٤] .

**٣- ممالك ودول أخرى:-** كشفت لنا نصوص الكتابات المسماريّة مرة أخرى عن وجود ما يمكن أنْ نصطلح عليه بـ"دويلات مدن" (دويلات أو قبائل) في التنظيمات السياسية لمنطقة الخليج العربي، بضمنها منطقة شبه جزيرة "عمان" (مجان) ففي نص يعود إلى الملك الاكدي "مانيشتوسو" (Maništusu) (٢٣٠٦-٢٢٩٢ ق.م.) يذكر إنه بعد أنْ فتح اراضي "إيران" عبر البحر المنخفض أو الأسفل (الخليج العربي) واقام في الجوانب العربية من الخليج ، وبعد أنْ عبرت جميع سفنه التي حملت جيشه تجمع ملوك المدن هناك وبلغ عددهم ٣٢ ملكا وقرروا محاربة جنود "مإنشتوسو"، لكنه دحرهم حسب قوله جميعا واطاح برؤسائهم وسيطر على جميع البلاد حتى الجبال ومناجم الفضة في ما وراء البحر الأسفل [٢٥]. إن هذا النص صريح وهام إذ يصور وجود تنظيمات سياسية في الساحل الغربي للخليج تتمثل بوجود ٣٢ مدينة لكل منها ملك خاص، أي إنه هناك دويلات مدن ، وقد اكدت نتائج التنقيبات والتحليلات الحديثة والدراسات الأنثروبولوجية صحة كتابات "مانشتوسو" اعتمادا على ما ذكره من مناجم المعادن والحجر الاسود في "عمان" (مجان) والذي صنع منه تماثيله، فضلا عن مسلته المشهورة، وفسرت بعض المصادر ذلك الحجر على إنه حجر الديورايت، إلا أنّ التحليلات الحديثة لتماثيل الملك المذكور اظهرت أنّ اثنين من التماثيل الموجودة في متحف "اللوفر" مصنوعة من حجر الزبرجد، وهذه أيضا هي صخور تقع بكميات كبيرة في شبه جزيرة "عمان"[٢٦]. ومن خلال دراسة إنثروبولوجية لهياكل عظمية تعود لمدة حكم "مانشتوسو" وتقع ضمن مدة حضارة ام النار واكتشفت في مقابر شمال منطقة "هلي" (Hilli) حوالي التسعين هيكلا متكاملا ظهر من خلال الكشف عنها ومعاينتها، إنها تعرضت لجروح وحروق عنيفة ، كما كشفت التنقيبات أن الأجساد لم يتم دفنها بشكل عشوائي بل بشكل جيد وتتابعي مع بعض، لجعل مساحات اخرى متبقية للآخرين[٢٧]. إن مثل هذه الدلائل لا يمكن أنْ تبتعد عن كونها تخص مقابر جماعية لخصوم "مانشتوسو" الذين تصدوا لغزوه بلادهم متحدين، كان كل ملك يمثل مدينة مستقلة إلا إنهم يرتبطون مع بعض في مصالح مشتركة ومنها الدفاع عن أنفسهم متحالفين ضد أي خطر خارجي، لذلك نراهم قد تجمعوا لصد الغزو الاكدي "لمجان"، بشكل يوحي بوجود كيان سياسي

مصغر غير مركزي في ذلك الوقت، أي كل تحت سلطته[٢٨]. لم يستطع الصمود بوجه جيوش ملك "أكد" المذكور، علما إن المدن الرئيسة التي تمكنت معاول المنقبين من الكشف عنها وأظهرت إرثا حضارياً مميزاً على طول ساحل الخليج الغربي حتى شواطئ عمان الشرقية و برها، تقترب من عدد دويلات المدن التي ذكر نص "مانشتوسو" إن عدد حكامها ٣٢ حاكما، مع الأخذ بعين الاعتبار وجود مستوطنات ذات طبيعة زائلة كشف عنها أخيراً بالقرب من الساحل[٢٩].

**ثانيا– طبيعة العلاقات السياسية بين العراق والخليج العربي قديما:**

تظهر طبيعة العلاقات السياسية لحكام العراق القدماء تفاوتا واضحا من حيث الأسلوب الذي انتهجوه في تعاملاتهم مع ممالك و دويلات منطقة الخليج العربي، إلا أنها تتفق على ضرورة الابقاء على الصلات المتبادلة بين الطرفين لضمان تدفق بضائع و سلع المنطقة أو المناطق البعيدة الاخرى عن طريق موانئها وساحلها المحاذي لشرق الجزيرة وصولا إلى موانئ حكومات مدن جنوب العراق. وتشير النصوص السومرية القديمة و السومرية الحديثة (بداية الألف الثالث ونهايته) إلى جلب الحكام في العراق مواد مختلفة من بلاد أجنبية بسفن خليجية، مما يدل صراحة على طبيعة علاقات التعاون المتبادل بين الطرفين، لتعود العديد من الإشارات في نفس نصوص هذه المدة– السومرية – لتؤكد تنامي العلاقات الاقتصادية المبنية على أسس تجارية منظمة تخضع للسلطات الحاكمة بين الطرفين، على الاقل لتامين الرحلات التجارية ، ففي أول ذكر لدلمون(Dilmun)جاء في نص لحاكم سومري هو "أور– نانشه" (Ur.Nansa) (حوالي ٢٥٢٠ ق.م.) مؤسس سلالة لجش في عصر فجر السلالات الثالث قوله: " إن سفن دلمون جلبت له الخشب كجزية من بلاد أجنبية "[٣٠]. والنص لم يذكر البلاد الأجنبية التي أرسلت الخشب كجزية ولكنه يفهم إن الجزية قد مرت بالخليج العربي وإن سفنا خليجية (دلمونية) هي التي أوصلتها إلى "لجش"، ولو كانت دلمون أو أي منطقة خليجية أخرى هي التي دفعت هذه الجزية لما تردد في ذكر اسمها مثلما فعل الحكام الأكديين، ولكن يبدو إن سلالة لجش ترتبط مع دلمون بعلاقات تعاون اقتصادي وربما سياسي، وإلا لما جلبت الخشب كجزية من بلاد

أجنبية غريبة عنها. والصورة الأوضح لطبيعة العلاقات السياسية لحكام جنوب العراق مع الخليج نجدها مع مدة تأسيس سلالة بابل الحديثة (٦٢٥ –٥٣٩ق.م.) ومؤسس هذه السلالة هو"نبوبلاصر" (NABOBOLASSA) (٦٢٥–٦٠٥ ق.م) وهو كلداني، بدأ وظيفته العامة كحاكم لبلاد البحر، كما تدعى هذه السلالة أيضا بالسلالة الثالثة لبلاد البحر أو سلالة الكلدانيين، وعرفت باسم سلالة "بيت أياكين" وفي اللغة البابلية (BIT IAKIN) ، وكانت حدودها السياسية من أقصى جنوب العراق وعلى امتداد الساحل الشرقي لشبة الجزيرة العربية، وعلى الرغم من قصر مدة حكمها المستقلة، فإنها تعد من العهود المشرقة في تاريخ حضارة العراق القديم، وصلنا عنها العديد من النصوص المدونة سواء كانت سجلات ملكية أو رسمية أم وثائق خاصة كالعقود التجارية والاقتصادية [٣١]، ويمكن الاستنتاج أن° الملوك الكلدانيين كانوا أكثر نجاحا من الناحية السياسية في تعاملهم مع قبائل الخليج العربي من الأكديين وحتى من الأشوريين، وأن الدلمونيين أنفسهم أصبحوا مرتبطين بشكل أوثق بالكلدانيين، لاسيما إذا أخذنا بعين الاعتبار بأن أرض دلمون قد امتدت أحيانا إلى أقصى الشمال باتجاه "فيلكة"[٣٢]. وقد بدا أن اراضي "دلمون" و"بيت أياكين" (Bit.Iakin) قد تشابكت وتداخلت بشكل جزئي، كما إن العلاقة الوثيقة بين الجانبين كانت حاضرة في أكثر من مناسبة ومن أهم ما يمكن الإشارة إليه تحالفهم المشترك ضد الأشوريين القادمين من شمال العراق[٣٣] .

إن السبب المقنع للعلاقات السياسية الطيبة بين قبائل وممالك الخليج والسلالة البابلية الحديثة– من الجائز ان° ينسحب هذا التصور على الحقب التاريخية للتنظيمات السياسية لدويلات المدن السومرية في جنوب العراق– هو إن "الكلدانيين" تكونوا من أسلاف العنصر الثقافي للسومريين في عصورهم القديمة والجديدة التي احتفظت بروابط وثيقة قبلية بشرق الجزيرة العربية والساحل الغربي ،للخليج لاسيما إذا رجّحنا العرق المشترك لكلا الإقليمين (أي جنوب العراق والخليج العربي)، وفي هذا المجال يمكن إن نلاحظ التسمية "نابو" (NABU) ، وهو الاسم البابلي لإله "دلمون" ونصيرها والمسمى "إنزاك" (Inzak) [٣٤] . كذلك أسماء ملوك سلالة بابل الحديثة وشخصياتها العامة يدخل في تركيب أسمائها نفس تسمية "نابو" مثل "نابوبولاصّر"

(Nabo–Palassar)، و"نابو– آبال– أوصر الثاني"(NabuApal–Usurll)، و"نابونائيد" (Nabu–Naid)، و"نابو بيل شوماتي" (Nabu–Bel–Sumate)، وغيرها الكثير [٣٥]. ممّا يؤكد الارتباط القبلي والعرقي الوثيق الذي كان سائدا في السياسة الخارجية.

بينما اتخذت هذه السياسة أسلوبا فرض السيطرة من خلال القوة العسكرية على منطقة الخليج طيلة مدة حكم الأكديين الذين يمثلون اولى الأقوام الجزرية التي استوطنت القسم الأوسط ثم الجنوبي من العراق لأنهم لا يمتون بصلة للعرق السومري أو الخليجي المشترك، فقد ترك لنا مؤسس السلالة الأكدية وخلفائه نصوص انتصاراتهم وتفاخرهم في الهيمنة على منطقة الخليج والمناطق الأخرى التي تؤدي إليه وهذا ما سنتناوله في المرحلة الموالية.

**١– الهيمنة العسكرية للعلاقات العراقية الخليجية:**

الشيء الملفت للنظر في العلاقات السياسية بين ممالك الخليج وحكومات العراق – من خلال دراسة النصوص المسماريّة، تبين أنّه خلال العصر الأكدي انتهج حكام أكد أسلوب الحملات العسكرية في فرض السيطرة على ما أسموه البحر المنخفض أو البحر السفلي "تامتمشابليتم" (TamtimŠabelitum) ، كما تفيد هذه النصوص أن كل من "عمان" (مجان) و"البحرين" (دلمون) لم تكن خاضعة إلى حكومة أكد بشكل نهائي، وإلا لما تواترت الإشارات المتكررة لكل ملك من ملوك سلالة أكد في حملاتهم العسكرية، التي يمكن الوقوف على أهمها بالشكل الآتي:

أ– عصر سرجون (٢٣٧١–٢٣١٦ ق.م. ):– من بين أحد النصوص المسماريّة التي تشير إلى خلاصة بالمنجزات التي قام بها "سرجون الأكدي" في الميدان السياسي والعسكري خلال حكمه الطويل الذي دام ٥٥ عاما، نقتبس منه ما يخص موضوع الخليج العربي حيث يذكر:

"**وطفت حول بلدان البحر ثلاث مرات، واستولت يداي على "دلمون"،فأياً كان الملك من بعدي.... ويطوف حول بلدان البحر ثلاث مرات، وعسى أن° تستولي يداه على دلمون**"[٣٦] .

وجاءت إشارات من نصوص يعود تاريخها إلى المدة الأشورية الحديثة ما بين (نهاية القرن العاشر ونهاية القرن السابع). إلا تُعدُ نسخا عن الأصل الأكدي، ذكرت حادثة انتصار سرجون واستيلائه على دلمون، في لوح طيني آشوري يروي أسطورة هذا الملك [٣٧] . فضلا عن الإشارة

إلى ذلك في لوح جغرافي آشوري يعرف بأطلس امبراطورية سرجون الأكدي"، يدّعي "سرجون" في هذا اللوح استيلاءه على "دلمون" ومجان" [٣٨]. وإذا ما تساورنا الشكوك حول صحة الإشارات هذه وسيطرة "سرجون" على الخليج العربي، فإن أحد النصوص الأكدية المعاصرة للملك "سرجون" نفسه يذكر متفاخرا قوله في النص الآتي:

**MA MA– GAN $^{Ki}$**

**بلاد مجان سفينة**

**MA NI.TUK $^{Ki}$ (DILMUN)$^{KI}$**

**(بلاد دلمون) في سفينة**

**IN GA –RI– IM**

**رصيف ميناء في**

**MAHAR A– GA –DÉ $^{Ki}$**

**بلاد أكد ترسو**

**US – KU – LI**

**جعل**

والترجمة العامة " **سفن مجان، سفن دلمون، جعل(ها) ترسو في ميناء بلاد أكد**"[٣٩] .

ومن المفيد أن نذكر أن سرجون الأكدي في حملاته العسكرية هذه، يجد تبريرا لها من خلال إعطائها الشرعية الدينية، إذ يذكر أن الإله "أنليل" (ENLIL) إله الهواء وثاني إله في ترتيب مجمع الآلهة السومري[٤٠]، هو الذي أعطاه هذه الدويلات من البحر العلوي إلى البحر السفلي، وقد ذكر البحر السفلي على أنّه يعني الخليج العربي وافتراضا خليج عمان و المحيط الهندي، أما البحر العلوي فهو البحر الأبيض المتوسط [٤١] .

ب– خلفاء سرجون:– يلاحظ من خلال دراسة نصوص خلفاء "سرجون" الملكين المباشرين "ريموش" (Rimus) و"مانشتوسو" (Maništusu )، إنهما لم يكونا بالقدر نفسه من القوة والهيمنة العسكرية على منطقة الخليج، و مع ذلك فالنص الوحيد الذي يدل على فرض السيطرة

العسكرية جاء من مدة حكم الملك "مانشتوسو" (٢٣٠٦-٢٢٩٢ ق.م) حيث يذكر إنه بعد حملته على مناطق في "إيران"، بنى السفن وعبر البحر السفلي (الخليج العربي) واحتل ٣٢ مدينة احتشدت لتحاربه، لكنه انتصر عليها وحمل في سفنه الأحجار السوداء من الجبال، حيث رست سفنه في ميناء "أكد" وصنع منها تمثالا لنفسه وخصص بقية الأحجار للإله "إينليل" بمثابة شكر له على مباركته انتصاره(٤٢). ومن الجدير بالذكر أن المقصود بالأحجار السوداء هي حجر الديورايت الذي يكثر وجوده في، جبال عمان حاليا(٤٣ ).

ج- مدة نرام سين:- تعد مدة هذا الملك (٢٢٩١-٢٢٥٥ ق.م) بإشاراتها المتعددة لغزو مناطق الخليج العربي وكأنها مدة إعادة فرض الهيمنة والسيطرة على "مجان" وجلب غنائمها (٤٤ ) ، وإعادة مجد جده "سرجون"، حيث ذكر ذلك بوضوح في كتابة على تمثال له يعرف بتمثال "A" "لنرام سين" نصه ما يأتي:

"**نرام سين ملك الجهات الأربع، انتصر في تسعة حروب خلال سنة واحدة، وبعد إن انتصر في هذه الحروب جلب ثلاثة ملوك مقيدين أمام "إنليل"..هو أخضع "مجان" واسر"مانيتان" (Manitan) (؟) سيد "مجان"، هو استخرج حجر الديورايت من جبالهم و نقلها إلى مدينة "أكد"، وضع تمثالا لنفسه، وخصصه...**" (٤٥).

وفي أسطورة معروفة عن "نرام سين" اكتشفت نصوصها في مكتبة "آشوربانيبال" بنينوى وجدت لها نسخ أخرى في مواقع عراقية متعددة، تصف "نرام سن" بأنه الحاكم الصالح، وإن هناك جموعا كبيرة من المقاتلين الغزاة الذين اجتاحوا أطراف مملكته ومنها منطقة الخليج العربي، وكان عدد قواتهم ٣٦٠ ألف مقاتل، وصلوا الخليج العربي واستمروا في غزوهم ليدمروا " دلمون" ومجان"، عندئذ استشار "نرام سين" الآلهة بواسطة الفأل ليحصل على الإذن لمهاجمة جموع الغزاة وكانه يعطي لنفسه مبررا لغزو مناطق الخليج العربي، إلا إنه لم يحصل على الإذن، فقرر إن يتخذ إجراءات لردعهم كمبادرة شخصية منه(٤٦).

إن حملة "نرام سين" هذه قد تأكد حدوثها ليس فقط في الكتابات الأدبية البابلية ،بل من خلال اكتشاف عدد من الأواني الحجرية المنقوشة أو كسر منها، مصنوعة في مجان نفسها،

والتي بدون شك تم الاستيلاء عليها خلال حملة عسكرية على "عمان"، ومن بين الأوعية وعاء مصنوع من حجر المرمر، وتذكر الكتابة عليه "نرام سين ملك الجهات الأربع وعاء، غنيمة من مجان"(٤٧ ). وهناك كسر من وعاءين آخرين من المرمر أو الكلسايت أحدهما وجد في "سوسة" عاصمة "عيلام" بإيران، والآخر محفوظ في المتحف البريطاني يحتوي النصف الأول من النصيين على الوعاءين المكسورين من الحافة العبارة الآتية:

« $NAM–RA–AK–MA–GAN^{Ki}$ » بمعنى "وعاء غنيمة مجان" (٤٨). وهناك وعاء آخر من الحجر الناعم في "أور" يحتوي على النص كاملا منقوصا منه اسم البلد الذي اخذت منه الغنيمة والوعاء يشابه كثيرا الأوعية الأخرى المجلوبة من "عمان" فضلا" عن إنه يحمل اسم "نرام–سين" في مكان الأوعية نفسها الاخرى غير المكسورة مما يدل على إنه من مجموع الغنائم نفسها(٤٩) ويمكن الاستنتاج إن الغنائم العمانية التي تتكون من شظايا وكسر الأوعية المصنوعة من المرمر والكلسايت والحجر الناعم، يعكس الاقتناع بأحداث الحملة العسكرية "لنرام سين" على "عمان" (مجان)، وعلى الرغم من إن الكتابات لم تذكر إن "نرام –سين" عبر البحر المنخفض، بل تذكر إنه هاجم "مجان"، فإنّ الأوعية التي صنعت من الحجر الناعم– وكانت من بين الغنائم–هي من مميزات الصناعة في "مجان" خلال مدة حضارة أم النار أي إنها تقع ضمن مدة الدولة الأكدية، وإن الأوعية من المرمر و الكلسايت لا وجود لها في الجزء الشرقي من الجزيرة العربية بل إن مصدرها من منطقة موقع "القصيص" في "دبي" بدولة "الإمارات العربية"(٥٠). كل ذلك يؤكد إن "نرام– سين" قام بحملته العسكرية هذه لإخضاع منطقة الخليج العربي مرورا بأراضي مملكة "دلمون" على الساحل الغربي للخليج حتى وصل إلى "مجان" (عمان وأراضي دولة الإمارات العربية الحالية)، وبما إنه لم يذكر عبوره للبحر السفلي فلا بد إنه اكتسح مدن الساحل و"دلمون" (البحرين) و إلا لما وصل إلى "عمان" من دون إن يعمد إلى ذلك.

٢– **العلاقات السياسية السلمية:**. على الرغم من كل الإشارات الواردة أعلاه التي تؤكد الصراع السياسي وصفة المعارك والحروب بين الحكام الأكديين ومناطق الخليج، فإنّ هذا لا يمنع من وجود علاقات سلمية واقتصادية بين المنطقتين، لاسيما تلك الإشارات العديدة على

التبادل التجاري وخاصة منطقة "عمان" (مجان) وحتى منطقة دلمون التي يشار إليها في بعض الأحيان إنها خاضعة لسيطرة بعض ملوك العراق فإن أغلب الأدلة النصية تقدم أدلة ترجح عدم خضوع على الأقل جزيرة "دلمون" لمثل هذه السيطرة خلال مدة الألف الثالث قبل الميلاد(٥١) . وبكل تأكيد مع عصر دول المدن السومرية الأول والثاني، ومن الإشارات العرضية التي لا يفهم منها تبعية دلمون السياسية المطلقة للعراق بل تدخل ضمن باب التفاخر أو لتبادل المندوبين الرسميين لرعاية مصالح كل منطقة للأخرى، نجد إشارة من فترة حكم الملك "شو–سين" (SU–SIN) (٢٠٣٧–٢٠٢٩ ق. م.) بأن أحد حكام مدينة "لجش" التابع للملك المذكور يزعم إنه حصل على لقب جير– نيتا (GIR.NITA) أي الحاكم أو الوالي لدلمون، وربما قصد به المندوب السامي للملك في دلمون أي إنه راعي مصالح سلالة أور في دلمون خلال مدة حكم الملك شو– سين(٥٢)، ومن بين النصوص الأخرى التي يمكن إن يستشهد بها على العلاقات السلمية المتبادلة خصوصا بعد زوال السيطرة الأكدية ومدة المعارك والحروب التي انتهجها حكامها مع مناطق الخليج العربي– كما أسلفنا– مدة حكم سلالة لجش الثانية التي احتفظت بالاستقلال وأصبحت مزدهرة في ضل حكم "جوديا" (٢١٤٤ –٢١١٢ ق. م.) أي بعد نهاية سيادة "الجوتيين" على جنوب العراق، حيث توفرت في هذه المدة غزارة في الإنتاجات الحضارية والتجارية القادمة من منطقة الخليج أو من خلالها يذكر نص على تمثال "جوديا" رقم (D) نقتبس منه الأسطر الآتية من العمود الرابع (٥٣) .

**Ma.gan.ki**
**مدينة مجان**
**Kur dilmun KI**
**جبال مدينة دلمون**
**mà gis dà–a–bi**
**السفن بكل أخشابها**
**Lags Ki sé**
**إلى مدينة لجش**

**Mu–na–tim**

**جلبت**

**hur–sagmà–gan–ki–ta**

**من جبال مجان**

**na $_4$ esi im.ta e$_{11}$**

**جلبت حجر الديورايت**

**alan–na–sé**

**تمثالا له**

**Mu–tu**

**صنع**

والترجمة العامة: من مدينة" مجان"، ومن جبال مدينة "دلمون" جلبت السفن الأخشاب إلى مدينة "لجش" ومن جبال "مجان" جلب (جوديا) حجر الديورايت، وصنع منه تمثلا له.

ويبدو أنّ حكام ممالك الخليج قد عدّوا حكم سلالة لجش وحاكمها جوديا بداية صفحة جديدة للعلاقات الطيبة ولروح التعاون المتبادلة بين الطرفين بعد سنين من المعارك والحروب، فعبروا عن ذلك بتقديمهم هذه الهدايا لجوديا إسهاما" منهم في بناء معبد "الخمسين" معبد الإله "ننجرسو" (Ningirsu) إله "لجش" [٥٤].

أما في عصر "اور–نمو" (Ur–Namu) مؤسس أور الثالثة (٢١١٢– ٢٠٩٥ ق.م.) فقد عثر على كتابات مدونة على مخاريط في موقع منطقة "دقدقة" (Daqdaqah) ، شمال شرق مدينة "أور"، تروي سعي هذا الملك على إعادة العلاقات السياسية الطيبة، على الأقل لضمان وصول بضائع ومنتجات منطقة الخليج، خصوصا بعد مدة من اضمحلال العلاقات والفوضى السياسية والاقتصادية التي شهدتها المدة السابقة لتأسيس سلالته [٥٥] . إذ يروي عبارات يفهم منها تمكنه من إعادة السفن التجارية المجانية من الرسو مرة أخرى في ميناء مدينة "أور"، وبذلك أعاد اتصالاته مع البحر المفتوح أي الخليج العربي[٥٦] . وذلك في قوله: "على طول الساحل (gaba a.aba.ka.ka)" [٥٧]. أما في عصر خليفة "أورنمو" ابنه "شلجي"

(Šulgi) (٢٠٩٥-٢٠٤٧ ق.م) فعلى الرغم من إن بعض الباحثين يرى إن عصره يتميز بفرض السلطة السياسية على جهات العالم بما فيه الخليج [٥٨]. فإنّ دراسة المزيد من نصوص مدته تبين لنا إنه سار على نهج والده في علاقاته السياسية مع الخليج ، وعضد هذه الروابط بإرسال مبعوثين خاصين من سلطته تحت حكم سلطة "دلمون" نفسها وهذا واضح من النص الذي اكتشف في موقع مدينة "لجش" (تلو حاليا)، حيث يظهر وجود إطار منظم من الموظفين المقيمين في جزيرة "البحرين" كمسؤولين على إدارة الميناء، من المحتمل جدا إنهم يشرفون على شحن البضائع السلع وتسهيل مهمة الرحلات التجارية بين البلدين، ونقتبس من النص الأسطر الآتية والخاصة بإرسال مواد غذائية للمبعوث الملكي والموظفين الذين معه في "دلمون" (البحرين) [٥٩] .

" ٢(جا)ga من الدقيق لـ "أور-دموزي" (Ur-Dumuzi)، المبعوث الملكي" لوجير"(Lugir)، نصف مكيال من الدقيق لاثنين من الموظفين المقيمين في دلمون (Dilmun)" [٥٩].

أما ما يخص اللقب الذي أطلقه "شولجي" على نفسه وهو ملك الجهات الأربع، فإنه من المرجح إنه لقب أقتبسه من الحُكّام الأكديين الذين سبقوه، خصوصا "سرجون" وحفيده "نرام سين"، -كما بينا سابقا- ولا يعدو كونه يدخل ضمن التفاخر والتباهي، وإذا كان جادا في لقبه هذا فإن فرض السلطة على أغلب الجهات المحيطة بمملكته من المفترض إن منطقة الخليج غير مشمولة بها، خاصة مع وجود أدلة التجارة المكثفة ووجود جماعات كثيرة من سكان الخليج وخصوصا "عمان" في جنوب العراق خلال عهده و بالعكس فقد وجدت أسماء منفردة في العديد من المدن السومرية وهم يشغلون مهن في اختصاصات متنوعة، ومن الجائز إنهم من عوائل ذات انحدار عماني الجذور، وأحد الأمثلة تأكدت في تنقيبات منطقة أور حيث كشف عن مجموعة من بيوت السكن والمشاغل عرفت باسم "أي- دورو- لو-ما-جإن- كي" ($e-duru_5$ -lu-ma-ganaki)، واقترح إنها تمثل قرية سكانها مجانيين [٦٠].

وقد عزز هذا الرأي ما ذكرته بعض النصوص عن بنّائي السفن العمانية (المجانيين) خلال مدة أور الثالثة ، ووصول بعض المواد كطريق الهدايا المتبادلة بين الملوك، أو ما كان

يصل إلى المعابد، حيث ذكرت النصوص أنّ قسما منها يخصص لمعبد الإله "ننا" (Nanna) إله القمر وزوجتهاالآلهة "ننجال"Ningal)( "السيدة العظيمة" وشملت الهدايا الذهب والفضة والأخشاب النادرة و المعادن(٦١). حتى إن العديد من هذه الهدايا المتبادلة أخذت أسماء مناطق وجودها ومنشأها أو صانعيها لتميزها عن الصناعة المحلية و مثال ذلك "ما عز مجان" الذي عرف بـ"$UD_5$ MA-GAN Ki"، خشب "ميس مجاني" (giš-Mes Ma.ganki) و غيرها الكثير(٦٢). و أخيرا فقد ذكرت النصوص وجود ما يشبه الرحلات السياحية على مستوى الأفراد أو الحكومات مما يعزز ديمومة أواصر السلم والعلاقات السلمية بين جنوب العراق و الخليج، ففي نصوص موقع "أومّا" (Umma) (وتعرف باسم تل جوخة) على بعد ٥٠ كلم شمال غربي مدينة "لجش"، وجد اسم سائح من "عمان" (مجان)، وربما يعكس سفرة رسمية نيابة عن ملك عمان، كذلك فإن الاسم "لو-مجان" (lù-magan) يمكن أن° يفسر على إنه رجل نبيل أو إنه تاجر تردد باستمرار على جنوب العراق (٦٣). ومهما تكن شخصيته فإن وجوده ومعرفة سكان جنوب العراق به يدل على حرية التنقل بين المنطقتين في ظل ظروف سلام وعلاقات سياسية سليمة بين حكومات الدولتين.

**ثالثا- العلاقات الدبلوماسية:**

من خلال دراسة نصوص الكتابات المسماريّة يتبين لنا أن الطابع السلمي هو السمة السائدة للعلاقات بين حكّام مدن العراق من جهة والممالك والامارات في الخليج العربي، وأن° أغلب العلاقات تمت على وفق اسس تسودها المصالح المشتركة، بينما نجد بالمقابل بعض الإشارات في الكتابات تشير إلى نشوب صراع وعمليات عسكرية خصوصا في ظل حكم الدولة الاكدية، لا يمكن أن° نفسرها إلا من خلال رغبة بعض ملوك دولة "أكد" على الأقل، لفرض الهيمنة العسكرية من أجل تأمين تجارة الخليج.

لقد ورد ذكر العلاقات السلمية بين حكام المدن والسلالات العراقية مع الممالك والمدن الخليجية بتعيين موظفين لهذا الغرض [٦٤]. ويبدو إن سياسة الملوك في الحفاظ على العلاقات الدولية السلمية فيما بينهم أصبح في حد ذاته وسيلة أخرى للحصول على المواد الأولية، إذ كانت تصل بلاد "سومر" في عصر سلالة أور الثالثة (اواخر الألف الثالث قبل الميلاد) على سبيل المثال، بعض تلك المواد عن طريق الهدايا المتبادلة بين الملوك بشكل شخصي، وبعضها الآخر كان يصل إلى المعابد، فمن نصوص المدة المذكورة عرفنا أن قسما من المواد كان يخصص لمعبد الإله "ننار" (Nannar) إله القمر وزوجته "ننجال" (Ningal)، وشملت الهدايا الذهب والفضة والعاج واللؤلؤ والأحجار الكريمة مثل اللازورد والعقيق بأنواعه والأخشاب النادرة والجيدة وبعض المواد الغذائية المميزة من أراضي الخليج العربي [٦٥]. وهذا يعني أن ملوك سلالة أور الثالثة ساروا على النهج نفسه الذي انتهجه أمير مدينة لكش الذي سبقهم في حكم سلالة لجش (٢١٤٤-٢١٢٤ ق.م) والمدعو "جوديا" (Gudea)، حيث عرف عن حكّام سلالة أور في سياستهم الخارجية التي تقوم على أساس تبادل المصالح المشتركة بين سلالتهم وبين كل من ممالك ومدن الخليج العربي ووادي "السند"، إذ جلب اليهم تجار "مجان" و"ميلوخا" العديد من المواد الأولية كالنحاس والخشب والفضة والذهب، وفي عهد آخر ملوك سلالة أور الثالثة "إيبي-سين" (Ibbi-Sin) (٢٠٢٨-٢٠٠٤ ق.م.) كانت الصلات تقوم أيضا على أساس علاقات دبلوماسية ودية وتأخذ طابعاً تجارياً بحتا واستمر هذا الوضع طوال الألف الثاني قبل الميلاد، وتمتد هذه الصلات من شمال العراق (كردستان حاليا) إلى وادي "السند" جنوبا، وتركزت بشكل ملحوظ بين مدن جنوب العراق وكل من "دلمون" و"مجان"، إذ دلت على ذلك مختلف النصوص والوثائق، ويقودنا هذا التحول إلى التساؤل عن الأسباب الكامنة وراء تحسن العلاقات السلمية الدبلوماسية وتضاؤل الأعمال الحربية التي كانت سائدة في المدة الأكدية، بحيث أصبح اللجوء إلى تعزيز العلاقات الودية لتنمية الصلات هو الأمر الغالب على العلاقات العراقية الخليجية، ونرى أنْ من أهم أسباب التحول هو إدراك ملوك العراق وحكامه لأهمية العلاقات الدبلوماسية

والسلمية في تأمين خطوط التجارة والتعاون من أجل ديمومة تدفق سلع وبضائع كلا المنطقتين بيسر وأمان، خصوصا مع قيام مملكة "دلمون" القوية وامتداد نفوذها إلى الساحل الشرقي للجزيرة، وإلى جزر عدة في الخليج، فأصبح بإمكانها حماية طرق التجارة البحرية وسلامة التجّار وبضائعهم[٦٦]. لهذا تزخر وثائق مدة نهاية الألف الثالث وبداية الألف الثاني قبل الميلاد بما يدل على قيام صلات ودية وعلاقات طيبة ساهم في تدعيمها ملوك العراق، فقام على سبيل المثال الملك "ورد- سين" (Warad-Sin) (١٨٣٤-١٨٢٣ ق.م.) بتشييد معبد في مدينة "أور" أطلق عليه اسم "معبد دلمون" (E-Tilmun-Na) خصصه للآلهة "إينانا" (Inanna) السومرية و"عشتار"(Istar)الأكدية [٦٧]. كما قام الزائرون الدلمونيون بتقديم هداياهم إلى معابد الآلهة العراقية بكل شكر وامتنان، مما يدل على قيام رحلات عقائدية دينية نجمت عن وجود صلات طيبة تربط بين "أور" و"دلمون" امتدت إلى مناطق أعالي "الفرات" خارج حدود بلاد "سومر واكد"، مما فتح صفحة جديدة من تاريخ العلاقات الحضارية بين "دلمون" والآموريين، شغلت حقبة امتدت أكثر من خمسة قرون (٢٠٥٠-١٥٣٠ ق.م) [٦٨]. ومن الجدير بالذكر إن العلاقات الخليجية العراقية تأخذ طابع الصداقة والسياسة الدبلوماسية، خلال الحقب الأخيرة من الألف الثاني وما بعدها لدى حكّام الإمبراطورية الآشورية، ففي رسالة بعثها الملك "آشور-بإنيبال" إلى قائده "بيل-ابني" (Bel-Ibni) يذكر فيها إنه استقبل "أي-ايدرو" (E-Edru) ، سفير الملك "خوندارو" (Hundaru) ملك "دلمون"، ومن هنا يمكن القول في هذا الصدد أن الكيان السياسي في "دلمون" ظل قائما ولو نظريا، رغم امتداد النفوذ الآشوري، ويمكن الاستدلال على ذلك أيضا مما جاء في النصوص الآشورية من ذكر لملوك "دلمون" وهم : "خوندارو" الذي كان معاصرا للملك الآشوري "شلمنصر الثالث" (Šalmaneser III) (٨٥٨-٨٢٤ ق.م.) والملك "اوبيري" (Upire) الذي عاصر الملك "سرجون الثاني" (Sargon II) (٧٢١-٧٠٥ ق.م.) ، والملك "كانايا" (Kanaia) الذي كان يعاصر الملك "اسرحدون" (Esarhaddon) (٧٠٤-٦٨١ ق.م.) [٦٩] .

لقد انعكس تحسن العلاقات العراقية الخليجية التي اتسمت بطابع الصداقة على طبيعة العلاقات الاجتماعية بين سكان المجتمع العراقي وابناء الخليج، فبدأ أناس من "دلمون" يسافرون إلى أماكن عديدة في العراق، كما بدأنا نقرأ عن بعض الشخصيات الهامة أسمتهم نصوص العصر البابلي القديم "مار– شبرم" (Mar–Šiprim) أي " الرُسل" ، وبالمقابل فعلى مر الأعوام والعصور اللاحقة كان مثل هؤلاء الرسل يأتون إلى مدن وممالك العراق ويسلمون الهدايا إلى الملوك تكريما لهم ولديمومة العلاقات بين دولهم ودول المدن في جنوب العراق(٧٠). ولعله من الصعب إن نتخيل أن هؤلاء الرسل أو الناس الاعتياديين أتوا من مناطق بعيدة خارج حدود العراق الجنوبية إلا للاحتفاظ بعلاقات اجتماعية جيدة تزامنت مع وجود علاقات سياسية وثقافية أوسع.

بسبب العلاقات التاريخية الوثيقة بين العراق والخليج، تأثر الخليج العربي بالأوضاع السياسية للعراق القديم، فكان ازدهار العلاقات السياسية يرافقه على الدوام فترات من الازدهار الاقتصادي، وبالتالي فإن نمو وتوسع العلاقات السياسية أدى في النهاية إلى ظهور المنافسة الاقتصادية وفتح الطريق للمنازعات والحروب حول تأمين الطرق البرية والنهرية والبحرية لضمان وصول البضائع والسلع ونقلها بسهولة ويسر.

لقد نشط ملوك دويلات المدن السومرية وأمراؤها وملوك الإمبراطورية الأكدية خلال الألف الثالث قبل الميلاد، في العمل على توسيع حجم النشاط التجاري الخارجي الذي تأثر بدوره بطبيعة العلاقات السياسية، فتارة تكون العلاقات متوترة من خلال الحملات العسكرية، أو تنظيم الصلات التجارية بالطرق الدبلوماسية والسلمية وعقد الاتفاقيات تارة اخرى ، ويبدو أن إدراك السلطة السياسية بان هذه الفعاليات بدون شك هي التي تؤدي بالنتيجة إلى تقوية سلطتها والمحافظة على وجودها وكيانها السياسي، وذلك على مستوى الإمبراطورية وقيام الدولة الموحدة، ولدى عدد من دويلات المدن أو السلالات الحاكمة في جنوب العراق خلال مدة الألف

الثالث قبل الميلاد، التي كان لدور النشاط التجاري البحري على وجه الخصوص الأثر الواضح لازدهار المدينة السومرية، فعلى سبيل المثال على الرغم من سوء الأحوال السياسية في جنوب العراق إبّان مدة التسلط "الجوتي"(٢١٨٠-٢٠٦٠ ق.م.)، ثم قيام سلالة أور الثالثة، نجد أن النشاط التجاري المكثف الذي كان سائدا خلال المدة المذكورة في عاصمة السلالة مدينة "أور" مما جعلها تحتل أهمية سياسية كبرى ضمن مقاطعات جنوب العراق، وكان ذلك جليا في السياسة التي انتهجها الملك "أور- نمو" (Ur-Nammu) (٢٠٦٤-٢٠٤٦ ق.م.) في إعادة تأسيس خطوط الاتصال مع مدن الخليج وبعيدا حتى شواطئ عمان.

ويمكن ان نستنتج من خلال الدراسة أنه مما يؤثر على استمرار النشاط التجاري ، تحسن الأوضاع السياسية، وبالعكس فإن النشاط التجاري لا يتواصل إذ ما تعرضت المدن إلى سوء أحوالها السياسية.

لقد استلزم تطور العلاقات السياسية بين العراق والخليج العربي إلى ظهور الدولة القوية المركزية- دولة القطر الموحدة- وذلك بتوحيد دول المدن القديمة المتضاربة في مصالحها، فكانت أول محاولة في التاريخ لتحقيق الوحدة السياسية وقيام المملكة الموحدة الكبرى على يد حاكم مدينة "أومّا" (Umma) "لوجال- زاجيزي" ، مع نهاية عصور فجر السلالات أي حوالي٢٤٠٠ ق.م، إذ لقّب نفسه "ملك البلاد" أو "ملك الإقليم" وفي اللغة السومرية "لوجال- كلامّا" (Lugal-Kalamma)، وبما أن مراكز الممالك السياسية في الخليج العربي تعتمد في ازدهارها على استقرار الأوضاع السياسية القائمة في الأقسام الجنوبية من العراق، لذا يمكننا عدّ مدة حكم الملك "لوجال- زاجيزي" خلال سنواته الأولى وسيطرته على الأقسام الجنوبية من العراق، قيام أول وحدة سياسية في العراق. ولم يقتصر الأمر على المحاولة الناجحة للملك "لوجال- زاجيزي" بل أن الانتصارات التي حققها الملك الأكدي "سرجون" على دويلات المدن في

جنوب العراق حتى وصل إلى الخليج العربي معلنّا قيام أول إمبراطورية موحدة هي الإمبراطورية الأكدية (٢٣٧٠-٢٢٣٠ ق.م).

أما ما يخص منطقة الخليج فإن السيطرة السياسية الموحدة للساحل الغربي للخليج وبره وجزره وتحديدا المنطقة المحصورة بين "البحرين" جنوبا حتى "فيلكا" شمالا أدى إلى دمج مجموعة الجزر الموجودة فيه والمناطق الساحلية والشواطئ وتوحيدها، فضلا" عن المناطق الداخلية غير المحصنة مثل الواحات والمناطق المجاورة لها، ليس بمفهوم الوحدة السياسية إثر قيام عمل عسكري، بل بقيام وحده سياسية مركزية ثقافية.

كان للعلاقات السياسية مع ممالك بلاد الرافدين الدورالكبير على قيامها وإنعاشها حضاريا، خاصة مع المناطق الداخلية والواحات. إن هذا الأمر لم يقتصر على قيام وحدة سياسية لمنطقتي جنوب العراق والخليج كل على حدة، بل نجد أنّ مفهوم الوحدة السياسية الذي فرضته طبيعة العلاقات، قد شمل في عصور لاحقة من حقب التاريخ السياسي والحضاري للعراق خلال مدة الألف الأول قبل الميلاد، جزءا كبيرا من مناطق الخليج وأراضي جنوب العراق، فالمنطقة المحصورة بين "اريدو" في جنوب العراق و"دلمون" (البحرين) كانت ضمن وحدة سياسية واحدة وجزء من مقاطعات "بابل" على عهد الملك "اشور-بانيبال" (Assurbanipal) (٦٦٨-٦٢٧ ق.م.) لأن "بابل" كانت مقسمة إلى ١٥ ولاية أو منطقة إدارية، وهذه الولايات عبارة عن وحدات سياسية تتمتع بالحكم الذاتي وتعمل تحت إشراف الملك، وكانت الولاية العاشرة هي التي تشير إلى حدود "اريدو" و"دلمون" وكانت تعرف بمملكة القطر البحري، حيث وصلتنا بعض النصوص التي تؤكد السيادة القانونية لحكام القطر البحري على "دلمون" وقد استمر هذا الوضع السياسي للمنطقة التي تشمل "اريدو" و"دلمون" إلى أيام الملك نبونائيد" (Nabonidus) (٥٥٥-٥٣٩ ق.م.) آخر حكّام "بابل".

## الخاتمة

لقد خلصت الدراسة إلى أنّ العلاقات بين العراق والخليج العربي تمت على وفق أسس سلمية تسودها المصالح المشتركة، بينما نجد بالمقابل بعض الإشارات التي تعرض لأعمال عسكرية خاصة خلال مدة الدولة الاكدية، والتي لا يمكن أن نفسرها إلا من خلال رغبة بعض ملوك دولة "أكد" على الأقل، لفرض الهيمنة العسكرية لتأمين التجارة.وأصبح اللجوء إلى تعزيز العلاقات الودية لتنمية العلاقات هو الأمر الغالب على العلاقات العراقية الخليجية، ونرى أن من أهم أسباب التحول هو إدراك ملوك العراق وحكامه لأهمية العلاقات الدبلوماسية والسلمية في تأمين خطوط التجارة والتعاون من أجل ديمومة تدفق سلع كلا المنطقتين وبضائعها بيسر وأمان، خصوصا مع قيام مملكة "دلمون" القوية وامتداد نفوذها إلى الساحل الشرقي للجزيرة وإلى جزر عدة في الخليج، فأصبح بإمكانها حماية طرق التجارة البحرية وسلامة التجّار وبضائعهم. وانعكس تحسن العلاقات العراقية الخليجية التي اتسمت بطابع الصداقة، إلى أن أناس من "دلمون" سافروا إلى أماكن عديدة في العراق، للاحتفاظ بعلاقات سياسية وثقافية واسعة.

وأخيرا وليس آخرا فمن نافل القول إنّ التاريخ هنا يجب أن يعيد نفسه لتزداد طبيعة العلاقات الاجتماعية والسياسية وحتى الاقتصادية، بين بلدان الخليج العربي والعراق ولعل وجود آلاف العوائل القاطنة بشكل طوعي أو العاملين في دول مجلس التعاون الخليجي في السنوات الأخيرة خير شاهد ودليل على ما ذهبنا إليه.

## هوامش البحث

(١)عامر سليمان، العراق في التاريخ القديم، موجز التاريخ الحضاري، ج٢، دار الكتب للطباعة والنشر الموصل، ١٩٩٣، ص٥٩.

(٢)عامر سليمان، العلاقات السياسية الخارجية، حضارة العراق، ج٢، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٨٥، ص ١١٠.

(٣) رضا جواد الهاشمي، صلات العراق القديم التجارية بمناطق الخليج العربي، مجلة كلية الآداب- جامعة البصرة، العدد السابع، البصرة، ١٩٧٣، ص٢٧.

(٤) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء الأول، مطبعة التفييض ، بغداد،١٩٥١، ص٥٦٩.

(٥) طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج١، الوجيز في تاريخ حضارة وادي الرافدين، منشورات دار البيان، بغداد، ١٩٧٣، ص ٢٥٢.

(٦)جعفر الخليلي، من هم أقدم سكان الساحل العربي في الخليج منذ فجر التاريخ حتى ظهور الإسلام، مجلة المؤرخ العربي، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، مطبعة الإرشاد، العدد ١٢، بغداد، ١٩٨٠، ص ٢٨١.

(٧) هيستنجز .أ وآخرون، عمان في الألف الثالث قبل التاريخ الميلادي، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ١٩٨٣، ص ٢٤. كذلك: عمان في فجر الحضارة، سلسلة تراثنا، العدد السادس، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمإن،١٩٨٥، ص١٤.

(٨) جواد علي، المصدر السابق، ص ٥٦٩.

(٩) المصدر نفسه ، ص ٥٦٨-٥٦٩.

(١٠) رضا جواد الهاشمي، (١٩٧٣)، صلات العراق، مصدر سابق، ص ٢١-٢٢.

(١١) جواد علي، المصدر السابق، ص ٥٦٢.

(١٢) منير يوسف طه، اكتشاف العصر الحديدي في دولة الإمارات العربية المتحدة، مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، قسم الدارسات التاريخية والجغرافية، ١٩٨٩، ص ٢٣٠.

(١٣) سامي سعيد الأحمد، تاريخ الخليج العربي من أقدم الأزمنة حتى التحرير العربي، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، ١٩٨٥، ص٢١٣.

(١٤) شيبان ثابت الراوي، صلات العراق القديم مع مناطق الخليج العربي، الندوة العلمية لدائرة الآثار والتراث من ٢٣-٢٥ تشرين الأول، بغداد ، ١٩٩٩، ص٤٤.

(15) Potts D.T(1990) The Arabian Gulf in Antiquity, from Prehistory to the Fall of the Achaemenid Empire, volume .1, Oxford p.139.

(١٦) طه باقر، المقدمة، المصدر السابق، ص ٥٩.

(17) Potts D.T(1990) Op,Cit, p.148.

(18) PottsD.T (1986) The Booty of Magan, ( OrAnt), vol.25.p.276-277.

(19) PottsD.T (1990)Op.Cit, p.139.

(20) Potts D.T (1997)Befor the Emirates: An Archaeological and HistoricalAccount of ArabEmirates, Editorsby: Edmund.G and Ibrahim al Abed, UAE, p.47.

(٢١) كلوزيو، إس، برتود. تي، المجتمعات الزراعية في عمإن ،حصاد- ندوة الدراسات العمانية – المجلد الخامس، سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة، ١٩٨٠، ص ٢٠٨-٢٠٩.

(٢٢) رشيد الناظوري، دور عمان الحضاري في فجر التاريخ ، حصاد - ندوة الدراسات العمانية- المجلد الأول، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، الطبعة الثانية ، ١٩٨٠، ص ٩١.

(٢٣) فأيسجارير .جي، استغلال النحاس في عمان في الألف الثالث قبل الميلاد،-حصاد- ندوة الدارسات العمانية- المجلد السابع، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ١٩٨٠، ص ١٩٢.

(24) Potts D.T (1997) Op.Cit, p.49 .

(25) Potts D.T (1990) Op.Cit, p.136

(26) Ibid,p.138.

(27) Ibid.

(28) PottsD.T (1997)Op.Cit , p.48.

(29) Ibid.

(30) KramerS.N (1964) The Sumerians,TheirHistory, Culture and Character, Chicago p.308.

(٣١) طه باقر، المقدمة، مصدر سابق، ص ٥٤٥ وما بعدها.

(32) PiesingerC.M (1983) Op.Cit, p.777

(33) Ibid, P.776

(34) Alnashef K (1986) The Deities of Dilmun (BTAA), p.341.

(35) Piesinger C.M (1983) Legacy of Dilmun: the Roots of Ancients Maritime Trade in Eastern Coastal Arabia in the 4th /3rd Millennium B.C, Unpublished Thesis, Un.Wisconsin, p.777.

(٣٦) فاضل عبد الواحد علي، الأكديون طلائع على الجبهة الشرقية، مجلة أفاق عربية، العدد٥، لسنة ١٩٨٠، بغداد ، وزارة الثقافة والإعلام، ص ٢٥٨.

(37) Piesinger C.M (1983) OP.CIT, p.642.

(38) Gadd S.J (1971) The Dyanasty of Agade and the Gutian Invasion, (CAH), 3rd (ed), vol.1 part.2, p.422.

(39) GaddC.J (1971) Op. Cit, p.422 ; Oman A Seapfaring Nation, Second Edition, Ministry of National Culture, Sultanate of Oman, 1991, p.14.

(٤٠)خزعل الماجدي، الدين السومري، دار الشروق للنشر و التوزيع- سلسلة التراث الرومي للإنسان (٢) عمان – الأردن، ١٩٩٨، ص ٧٤، ٩١.

(41) Potts.D.T (1990) Op.Cit, p.136.

(42) Ibid.

(43) HeimpeL.W (1982) A First Step in the Diorite Question (RA), vol 76, p.65.

(44) Gadd C. J (1971) Babylonia C. 2120 -1800 B.C (CAH), 3rd (ed), vol.1, part. 2, p.445.

(45) Potts.D.T (1990) Op.Cit, p.136-137.

(٤٦)هاري ساكز، المصدر السابق، ص ٤٨٢.

(47) Potts.D.T (1986) The Booty of Magan, Orient Antiquts, (Oran), vol.25, Roma, p.278-279.

(48) Potts D.T (1990) Op.Cit , p.139.

(94) Potts.T.F (1989) Foreing Stone Vessls of The LateThirdMillenniumB.C.fromSouthernMesopotamia: TheirOrigins and Mechanismes of Exchang, Iraq, vol.51, p.134.

(50) PottsD.T (1990) Op.Cit, p.141.

(51) Oppenheim A. Leo (1954) The SeafaringMerchants of Ur (JAOS), vol.74, p.16.

(52) Piesinger C.M (1983) Op.Cit, p.646.

(53) Barton G.A (1929)The Royal Inscription of Sumer and Akkad, Newhaven, p.191.

(54) Piesinger C.M (1983) Op.Cit, p.644.

(٥٥) فاضل عبد الواحد علي وآخرون، العراق في التاريخ، دار الحرية للطباعة، بغداد ، ١٩٨٣، ص ٧٨.

(56) Gadd C. J ,Op.Cit, p.599-600

(57) OppenheimA.Leo (1954) Op.Cit , p.14.

(58) CornwallP.B (1944) Dilmun: The History of Bahrein Island BeforCyrus.UnPublishedPh.D dissertation,Havard Uni, p.27.

(59) PiesingerC.M (1983)Op.Cit, p.645-646

(60) PottsD.T (1990)Op.Cit, p.148.

(61) Leemans W.F(1960) Foreign Trade in the Old BabylonianPeriod, As Revealed By TextsfromSouthernMesopotamia, Leiden , P.18.

(62) PottsD.T(1990)Op.Cit , p.149.

(63) Ibid p.141.

(٦٤) سعدي فيضي عبد الرزاق، حقائق اقتصادية في وادي الرافدين، مجلة آفاق عربية، العدد ٩، ١٩٨٢، ص ٧٧.

(65) Leemans. W.F (1960) Op. Cit, p. 18 ff.

(٦٦)سليمان سعدون البدر، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، منطقة الخليج العربي خلال الألفين الثاني والأول قبل الميلاد، الكويت، ١٩٧٨، ص ١٢٩-١٣٠

(٦٧)هيا علي جاسم آل ثاني، الخليج العربي في عصور ما قبل التاريخ ،مركز الكتاب للنشر، ط١، القاهرة، ١٩٩٧، ص ١٨٨.

(٦٨) المصدر نفسه ، ص ١٧٣ وما بعدها.

(٦٩)سليمان سعدون البدر، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، منطقة الخليج العربي خلال الألفين الثاني والأول قبل الميلاد، الكويت، ١٩٧٨،، ص ١٣٣.

(70) Leemans. W.F (1960) Op. Cit, p. 141